الأريوسية الجديدة وأبدية التدبير – ٣

هل مات المسيحُ عِوضاً، أم نحن كنَّا فيه؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

www.coptology.org

مشكلة الأريوسية قديماً وحديثاً

الأريوسية القديمة والعودة إلى اليهودية:

عندما اتهم القديس أثناسيوس الأريوسيين باليهودية، تُرى هل كان متجنياً أو متطرفاً أو لا يراعي الظروف، أم أنه كان على حق؟ هل كان عليه أن يحتمل ويصمت، في الوقت الذي يرى فيه الإيمان يُداس تحت أقدام الأريوسيين؟ ألم يكن عليه أن يوضح الحقيقة ويكشف خلفية الهرطقة الأريوسية، وتلك الصلة الخفية بين الأريوسية واليهودية؟

من كتابات أثناسيوس يتضح لنا أن اتهامه للأريوسية باليهودية لم يكن اتهاماً مرسلاً، بل قدم لنا حيثيات هذا الاتهام موثقاً، ومن كتاباته تتضح لنا هذه الصلة الوثيقة بين اليهودية والأريوسية كالآتي:

أولاً: يسجل أثناسيوس عداوة اليهود القدامى، واليهود معاصري أثناسيوس، والأريوسيين، يسجِّل "عداوتهم للمسيح"، بل، عندما يكتب دفاعاً عن ديونسيوس السكندري، يذكر -بكل وضوح- أن "اليهود في ذلك الزمان واليهود الجدد في أيامنا ورثوا جنون العداوة للمسيح عن أبيهم الشيطان" (فقرة ٣٥ راجع ص ١٧٧).

ثانياً: ولا يكشف فقط القديس أثناسيوس عداوتهم للمسيح، بل يفضح أيضاً "إنكارهم له"، وهو ما يجمع يهود الإسكندرية والأريوسيين معاً" (ضد الأريوسيين ١: ٨ ص ٣١٠). وفي المقالة الثانية -وهو يرى كيف يلوي اليهود والأريوسيين عنق عبارات الأسفار، يكتب المعلم قائلاً: "هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق لأنهم لو كانوا (الأريوسيون) يعرفونها، لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان كاليهود المعاصرين" (٢: ١ ص ٣٤٨ – الترجمة العربية ص ١٠). ويصف أثناسيوس العداوة للمسيح بأنها مؤامرة الشيطان ضد الرب نفسه، وأن الأريوسيين يقلِّدون صلف اليهود" (أدلفوس ١ ص ٥٧٥).

ثالثاً: ولأن المصلوب هو "رب المجد" (١ كور ١: ٢٤ – ١ كور ٢: ٨)، فإن العداوة امتدت ليس فقط إلى الخلاص نفسه، بل وإلى تعيير الرب، حيث يفعل الأريوسيون ذلك قائلين مثل اليهود: "لو كنت ابن الله خلص نفسك" (متى ٢٧: ٤٠). ولكن؛ لأن المصلوب هو حقاً ابن الله، فقد استُعلِنَت قوة الله للخلاص، ولكن إنكار أُلوهية المخلص رغم الآلام التي احتملها في الجسد، ليست مجرد إنكار أُلوهية الرب، بل هي عودة إلى اليهودية (رسالة إلى مكسيميان ١، ٢، ٣).

الأريوسية في ثوبها الجديد:

وإذا كانت العلاقة بين الأريوسية القديمة واليهودية تبدو في لي عنق عبارات الأسفار، وفي اعتبار المخلص رب المجد مخلوقاً بلا ألوهية حقيقية، فهذا هو ذات ما تفعله الأريوسية الجديدة أيضاً عندما تلوي نصوص العهد الجديد، وتعلِّم بأن الغفران ليس مجانياً، بل مدفوع الثمن، وعندما تحقِّر الرب وتسقطه تحت جلدات حارقة وعذابات تتصور أن الآب يصبها على الابن استئداءً لثمن الخطايا وطلباً لرضى لا يُرضي أحداً، وكأن الابن مخلوقٌ، وليس إلهاً، في حين أنه لو كانوا يؤمنون بأن الابن هو الكلمة الخالق، لَمَا تجرَّأوا على القول بأن الابن يدفع "ثمن الخطايا"، وذلك لأنه –ببساطة– هو رب الخليقة، وأحد الثالوث القدوس. ويذكِّرنا القديس أثناسيوس بهذه الحقيقة، مستجوباً الأريوسيين:

"إن كان الكلمة مخلوقاً، فكيف يمكنه أن يُبطِل حكم الله ويصفح عن الخطية، وهو أمر كتب عنه الأنبياء أنه خاصٌّ بالله؟ لأن "من هو إلهٌ مثلك غافر الإثم ومتغاضٍ عن الخطايا" (ميخا ٧: ١٨)، فإن الله قال: "إنك ترابٌ وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩)، فصار البشر موتى. إذن، كيف يكون في إمكان أيٍّ من المخلوقات أن يُبطِل الخطية؟ فإن الرب نفسه هو الذي أبطلها، كما قال هو نفسه: "إن حرركم الابن" (يو ٨: ٣٦) ... الكلمة الذاتي وصورة جوهر الآب **هو الذي أصدر الحكم** في البدء، وهو الذي صَفَحَ عن الخطايا. وإذا قال الكلمة: "أنت تراب وإلى التراب تعود"، فإن الحرية تتحقق أيضاً **بالكلمة نفسه وفيه وبه** قد صار إبطال الدينونة" (ضد الأريوسيين ٢:

.(٦٧

وتردد الكنيسة أُم الشهداء ذات الإيمان في القطعة السابعة من ثيؤطوكية الاثنين:

السلام لبيت لحم ... التي ولِدَ فيها المسيح آدم الثاني

لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس

ويحل قضية الموت: إنك يا آدم تراب وإلى التراب تعود".

الأريوسية الجديدة بين الاعتراف اللفظي، والإنكار العملي لألوهية المخلص

إذن، لا تختلف الأريوسية الجديدة عن سابقتها القديمة في اعترافها اللفظي بالابن، وإنكارها العملي لأُلوهية المخلص، ذلك لأن مجرد الكلام عن الابن دفع ثمن خطايا البشرية، وأن عقاب الخطية وقع عليه من يد الآب، ينفي عن الابن أنه أحد الثالوث القدوس والمساوي للآب، وذلك على التفصيل الآتي:

أولاً: إن ما ذكره القديس أثناسيوس في المقالة الثانية: ٦٧ ضد الأريوسيين، يكفي لإظهار أن الرب هو الذي أصدر الحكم "موتاً تموت" مع الآب ومع الروح القدس. وعندما تحول الأريوسية الجديدة الرب إلى مجرد ثمن يُدفَع للآب، فهي تنكر هذه الحقيقة، وبذلك تنفي الخلاص الأبدي، رغم اعترافها اللفظي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هذا الكلام لا ينفي فقط أبدية الخلاص، وإنما يتعدى ذلك إلى نفي حقيقة أبدية أخرى هي شركتنا في حياة المسيح، وبالتالي شركتنا في موت المسيح على الصليب، وقيامته. لا شك أن الرب صُلِب حقاً، و"ذاق الموت بالجسد" فعلاً، لكن موت الرب ليس موتاً نيابياً، ولم يكن الرب بديلاً عقابياً كما يقول الأريوسيون الجدد، ولكنه كان – كما يقول القديس أثناسيوس:

"موت الجميع قد تم في جسد الرب

ό πάντων θάνατος εν τω κυριακώ σωματι επληρύ το".

(تجسد الكلمة ٢٠: ٥)

وقبل ذلك يقول: "الجميع قد ماتوا فيه" (تجسد الكلمة ٨: ٤).

فإذا كان "موت الجميع قد تم في جسد الرب، وإذا كان الجميع قد ماتوا فيه"، فالقديس أثناسيوس يتكلم إذن عن **شركتنا في موت الرب**، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن أن يكون تعبير: "عوضاً عن الجميع" الذي يظهر في الترجمة العربية، إلَّا نتيجةً لسيطرة الفكر الغربي اللاتيني والإنجيلي؛ لأن هذا التعبير لا يمكن أن ينسجم مع عبارات القديس أثناسيوس ذاته، وهو ما يتبين لنا من النص التالي، حيث يقول أثناسيوس:

"بذل جسده للموت (**عوضاً**) عن الجميع وقدَّمه للآب
كل هذا فَعَلَه من أجل محبته للبشر.
أولاً: لكي إذ كان **الجميع قد ماتوا فيه،**
فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء
لأن سلطان الموت قد استُنفِذَ في جسد الرب
فلا يعود للموت سلطانٌ على أجساد البشر.
ثانياً: فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية،
يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد
الذي جعله جسده الخاص
وبنعمة القيامة، يبيد الموت منهم كما تبيد النارُ القشَّ" (تجسد الكلمة ٨: ٤).

بالتأمل مليَّاً في عبارات هذا النص يتضح لنا أن القضية كما تبدو من النص هي: كيف يمكن لأثناسيوس أن يقول عن الكلمة: إنه مات عوضاً عن الجميع، (وهو ما يعني -في هذه الحالة- أن حكم الموت لم يتم في البشر، بينما في نفس الوقت يقول: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه ... هل الجميع ماتوا فيه، أم أنه مات عوضاً عن الجميع، وبالتالي لم يمت الجميع فيه؟ ولكن الجواب هو من ذات كلمات أثناسيوس:

١- "بذل جسده للموت (وإضافة "عوضاً" لا تستقيم مع باقي العبارة) عن الجميع وقدَّمه للآب
كل هذا فَعَلَه من أجل محبته للبشر".

تلك عبارةٌ تؤكد محبة البشر، لا الموت النيابي، أو البديل العقابي الذي جاء مع العصر الوسيط الأوربي، وساد في أوساط حركة الإصلاح.

٢- "لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه".

تعبير يؤكد، ليس نقل حكم الموت من الجماعة، (البشر) إلى شخصٍ واحد هو المسيح يسوع، بل يؤكد أن الواحد ماتت فيه الجماعة، ذلك أن حكم الموت، الذي شمل الكل لا يمكن التنازل عنه، ولا يوجد ما يبرر حتى في العدل الإلهي نفسه -كما يتصوره بعض دعاة الأريوسية الجديدة- أن يتم التنازل عن الحكم إذا قَبِلَ آخر، ولكن قوة موت الرب يسوع هي في أنه يملك الحياة والموت، فهو الكلمة الخالق الذي يستطيع أن يحل "قضية الموت" كما تقول كلمات التسبحة. إن التصور الدقيق يكمن في إدراك قوة الخالق الذي لا يحاسبه أحد، ولا يوجد إله آخر يحاسبه، أو يطلب منه فديةً، بل هو الإله الخالق والمخلص. وعندما أخذ الرب الموت، فقد فعل ذلك كخالق، وعندما تم حكم الموت في الابن المتجسد، رَفَعَ حكم الموت عن الكل، وتحول حكم الموت إلى خلاص، وهو ما يؤكده المعلم الرسولي عندما يقول: "إذ الجميع ماتوا فيه"، وهو ذات ما يقدمه الرسول بولس نفسه: "كما في آدم يموت الجميع"، وهو هنا آدم الثاني الذي قبل الموت لكي يتم باقي العمل: "هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كور ١٥: ٢٢)، وضد الأريوسيين (١: ٤١)، حيث يقول أثناسيوس: "بموته قد متنا جميعاً في المسيح".

٣- "إذ كان الجميع قد ماتوا فيه،

فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء". (تلك الشريعة التي سادت على البشر بسبب التعدي)، والدليل على أن الرب أبطل شريعة الموت هو عبارة أثناسيوس نفسه: "لأن سلطان الموت قد استُنفِذَ في جسد الرب".

٤- إذا كان الأمر على نحو ما أوضحنا، فهل يعقل أن يكتب أثناسيوس "عوضاً"؟

٥- إن تحول حكم الموت إلى حياة، لم يتم بالموت على الصليب وحده، ولكن كما يحدد أثناسيوس نفسه:

"فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية،
يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد
الذي جعله جسده الخاص

وبنعمة القيامة (قوة الألوهة التي للمخلص)، يبيد الموت منهم كما تبيد النارُ القشَّ"، ولا شك أن إبادة القش بالنار تعني نهاية الموت.

عندئذٍ يكون الموت الذي ماته الرب عن الجميع هو الموت المحيي.

ثانياً: ماذا يعني تعبير "عن الجميع"، وهل يمكن أن يكون تعبير "عوضاً عن الجميع" ترجمة دقيقة للنص اليوناني؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الترجمات الإنجليزية جاءت وليدة سيادة فكرة البديل العقابي، أو البديل التي تعود إلى أنسلم، تلك الفكرة التي سيطرت على الترجمات التي ولدت في بيئة حركة الإصلاح ومدارسها. وهكذا أسقط الفكر السائد اعتقاده العقيدي على الترجمة، فظهر فيها التعبير "*on behalf of all*" (راجع ترجمة *Thomson* ص ١٥٢ يوناني – ص ١٥٣ انجليزي). في حين أن الترجمة الصحيحة يجب أن تكون: "عن الكل" فقط دون إضافة "عوضاً"؛ لأن كلمة "عِوضاً" لا توجد في النص حسب الأصل اليوناني αντί πάνων. وعندما يقول الرسول بولس في (٢ كور ٥: ١٥) "ونحن نحسب هذا أن واحداً مات لأجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا". إذن لا موت للجميع، إذا كان الواحد قد مات عِوضاً. أما موت الواحد عن الجميع الذي يُحسب معه أن الجميع قد ماتوا، فهو موت الفادي والمخلص ابن الله، الذي بقوته الإلهية قَبِلَ حكم الموت الذي أصدره هو بنفسه "موتاً تموت"، وجاء هو نفسه لكي يلاشيه في ذاته ويبيد الموت بالموت، كما جاء في عب ٢: ١٤، وهو ما يؤكده أيضاً –في موضع آخر– عندا يقول إن هذا الموت هو نعمة الله: "لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" (عب ٢: ٩). فقد "ذاق الموت بالجسد"، وبالتالي ماتت الإنسانية كلها فيه، وهو "موت الجميع" الذي يُوهَب سرائرياً في المعمودية المقدسة (رو ٦: ١ – ٨).

وحسب المحتوى الدقيق للفقرة التي اقتبسناها من أثناسيوس، يمكننا أن نضع بعض الملاحظات:

١– محبة الآب والابن للبشر.

٢– إذا كان الموت "عوضاً عن الجميع"، فلا يجوز أن يكتب أحد بعد ذلك أن "الجميع ماتوا فيه"!

والأمر الذي يؤكد أن تعبير "عن الكل" هو الترجمة الصحيحة والأفضل، وليس

"عوضاً عن الكل" هو تعبير أثناسيوس: "الجميع ماتوا فيه"؛ لأن ما "قُدِّمَ عوضاً" لا يسمح للموت أن يكون للكل، بل فقط لمن قدَّم "العوض"، أو "البديل". ولكن "إذ كان الكل قد ماتوا فيه"، فهذا استعلانٌ لمحبة الآب والابن معاً (يو ٣: ١٦)، ذلك لأن الإنجاز الأبدي للقيامة يظهر بشكلٍ واضح، وهو إعادة الحياة للموتى، وهو تجديدٌ أبديٌّ.

٣- وإذا كان الموتُ شريعةً، حيث يقول أثناسيوس: "يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء"، فالقيامة لا يمكن أن تكون شريعة، بل هي نعمة "وبنعمة القيامة"، وبذلك يكون هناك تناغم وهارموني دقيق بين:

أن "الجميع ماتوا فيه،

وأنه "بنعمة القيامة يُبيد الموت منهم".

٤- **إن شركتنا في موت الرب وقيامته** هي محور كرازة الرسول بولس في (رو ٦: ١-٨)[١]، وهو أطول نص في تاريخ المسيحية عن المعمودية، غير أن واقع حال التعليم السائد يقول إنه جرى تهميشٌ للقيامة، واعتبارها مجرد محصِّلة، أو نهاية سعيدة، بينما "موت الجميع فيه" يعني أن حكم الموت رُفِعَ كما يقول أثناسيوس: "وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة فإنه رَفَعَ الموتَ فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩: ١). وأيضا: "أبطل فساد الموت ... ابن الله قد جاء ليضع حدَّاً للموت" (٩: ٤). وأيضاً: "أبطل الموت" (١٠: ١). وأيضاً: "لأنه بذبيحة جسده الخاص (أو الذاتي) وضع نهايةً لشريعة الموت"، ويكمل: "وصنع لنا بدايةً جديدةً للحياة برجاء القيامة ... وبالتالي فنحن الآن لا نموت كمدانين" (١٠: ٥). وأيضاً: "كان من اللائق أن يأخذ جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يبيد فيه (الجسد) الموتَ، ويجدد خلقة البشر" (١٣: ٩).

فأين هذا من التعليم بـ **"الموت النيابي أو العقابي"**، الذي يحصر الخلاص في الموت على الصليب، ولا يرى في القيامة تجديد البشرية ورد الحياة للبشر المائتين؟ إن هذا

---

(١) "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ. فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ. عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ. فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ".

التعليم هو في حقيقته العلامة التي تميِّز المذهب الإنجيلي، والراية التي ترفرف على تعليم العصر الوسيط الأوربي الذي ما يزال يتبناه بعض الإكليروس في الكنيسة القبطية ويدبجون به مقالاتهم التي تنشرها -للأسف- مجلة الكرازة التي من المفروض أن تكون صوت التعليم في كنيسة أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير!!!

القرائن المتعددة على شركتنا في موت المسيح وقيامته في "تجسد الكلمة":

لن نكتفي بما أوردناه من عباراتٍ صريحة وقاطعة يقرر فيها القديس أثناسيوس حقيقة شركتنا في موت الرب وقيامته، وحياته عموماً، بل ولكي نؤكد أن التعليم الرسولي الذي صاغه أثناسيوس في "تجسد الكلمة" هو بناء متكامل يسند بعضه بعضاً، نورد بعضاً من القرائن والأسس التي يقوم عليها هذا الصرح الشامخ، فتبطل مشورة أخيتوفل الجديد.

ومشورة أخيتوفل التي كادت تؤدي إلى قتل داود، هي هنا مشورة الأريوسيين الجدد الذين يعطون المكانة الأولى للخطية -لا للخطاة- باعتبار أن الخطية عندهم هي سبب نزول الله الكلمة وتجسده، وليس محبة البشر التي ظهرت في التجسد باعتباره استعلاناً لهذه المحبة. ماذا يقدم القديس أثناسيوس من قرائن على شركتنا في موت وقيامة وحياة ربنا يسوع:

القرينة الأولى:

بما أن الخطية هي شرٌّ، "والشرُّ هو عدم"، ولأن الإنسان حصل على وجوده من الله، فالخطيةُ -إذن- تعني أن يُحرم البشر "إلى الأبد من الوجود .. وبقائهم في الموت والفساد" (٤: ٥)؛ ولأن الإنسان "فانٍ بطبيعته لأنه خُلِقَ من العدم" (٤: ٦)، وبالخطية تحوَّل البشرُ إلى فساد الموت (٥: ١)؛ لذلك يجيء تعبير "عن الجميع"، بسبب عجز الجميع، وهو عجزٌ مصدره فقدان الحياة، ولأن الموت صارت له سيادة شرعية علينا (٦: ١).

القرينة الثانية:

لما كانت الخطية قد تسببت في فقدان "نعمة مماثلة صورة الله" (٧: ٤)، فقد كان المطلوب هو رد النعمة، لا الموت النيابي عقابيٌّ كان أو غيرَ عقابي، ولذلك "مَن ذا الذي يستطيع أن يُعيد للإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلَّا كلمة الله الذي خَلَقَ في البدء كل شيء من العدم؟" (٧: ١)، ولذلك يتكلم أثناسيوس في الفصل السابع نفسه عن "رد الإنسان إلى عدم الفساد" (٧: ٥)؛ لأن الكلمة هو الخالق الذي "هو وحده القادر أن يُعيد خلق كل شيء"، لا أن يموت عوضاً.

القرينة الثالثة:

لا يمكن لآخر أن يقضي على الموت، إلَّا كلمة الله الخالق، وذلك بأن يموت. ويشرح القديس أثناسيوس في الفصل التاسع موت الكلمة على هذا النحو:

+ "الكلمة غير مائت لأنه ابن الآب غير المائت (٩: ١)، أي أنه يشترك مع الآب في حياته الإلهية.

+ لكي يبيد الموت "اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت"، والعبارة التالية يجب أن تُقرأ جيداً؛ لأن الكلمة لا يموت نيابةً عن الجميع؛ لأن ذلك الموت عن الجميع يجعل الكلمة تحت حكم الموت إلى الأبد؛ لأن القديس أثناسيوس يشرح معنى عبارة "موتاً تموت" في سفر التكوين على أنها لا تعني بالقطع مجرد الموت فقط، بل البقاء في الموت إلى الأبد (٣: ١٥).

+ لكن موت الإنسانية التي اتخذها الكلمة من القديسة مريم، هو موت مَن هو مُتَّحدٌ بالجسد، ولذلك لا يمكن للجسد أن يبقى تحت حكم الموت، بل "يبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩: ١).

+ لقد اتحد ابن الله بالبشر؛ لأنه "اتخذ جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر" (٩: ٢). هذا الاتحادٌ بالكل، شرحه أثناسيوس بتقديم تشبيهٍ عن ملكٍ عظيم دخل مدينةً عظيمةً وسكن في أحد بيوتها، فإن المدينةَ كلها تكرِّمه أعظم تكريم، ولا يجرؤ أيُّ عدوٍ، أو عصابةٍ أن تدخل (هذه المدينة)" (٩: ٣). ويطبق القديس العظيم هذا التشبيه على

التجسد، فيقول: "جاء إلى عالمنا وسكن في جسدٍ مماثلٍ لأجسادنا .. وأبطل فساد الموت" (٩: ٤).

القرينة الرابعة:

إن "إيفاء دين الجميع" ليس يعني ديناً يُدفع -كما ساد في أوساط المذهب الإنجيلي- بل كما يحدده أثناسيوس نفسه يعني "أن الرب قدَّم فديةً بموته؛ لأنه "باتخاذه جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر"، ولاحظ "وباتحاده بهم" (لأن له ذات الإنسانية التي للكل)، فإن ابن الله عديم الفساد، أَلبسَ الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات"، بل اضاف المعلِّم السكندري: "ولم يعد الفساد الفعلي بالموت (أي البقاء في الموت إلى الأبد) لم يعد له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (فصل ٩: ٢). وفي نفس السياق يظهر أن الفدية هي "ابطال الموت الذي حدث نتيجة التعدي بتقديم جسده الخاص" (١٠: ١). ثم يكرر نفس العبارة التي وردت سابقاً في (٨: ٤ — ٢٠: ٥): "مات لأجل الجميع فالجميع إذن ماتوا" (١٠: ٢). ونتأكد من أن الفدية هي تحرير الإنسانية لأنها إبادة الموت (١٠: ٤). ويظهر معنى "عن" في هذه العبارة بأكثر وضوح عندما يقول: "بذبيحة جسده الذاتي وضع نهاية لشريعة الموت ... وخلق أو نصع لنا بداية جديدة للحياة" (١٠: ٥)، وهو هنا يشرح عبارة الرسول بولس "كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢١-٢٢).

القرينة الخامسة:

وهي اتحادنا في موت الرب وقيامته، لا موت الرب وحده. ومَن ينكر هذا، فهو أريوسي -كالفيني المذهب، حتى لو كان مطراناً بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ولا يجب أن ينخدع بكلامه أحد. ذلك لأن أثناسيوس العظيم يكتب عن الصلب والقيامة، فيقول: "مَن لا يؤمن بقيامة جسد الرب، فهذا سيبدو أنه يجهل قوة كلمة الله وحكمته .. اتخذ لنفسه جسداً وهيَّأه بطريقة لائقة ليكون جسده الخاص، فما الذي كان سيصنعه

الرب بهذا الجسد؟ أو ماذا يمكن أن تكون نهاية هذا الجسد بعد أن حلَّ فيه الكلمة؟" (٣١: ٤) ويجيب أثناسيوس: "كان لابد أن يموت، إذ هو جسدٌ قابلٌ للموت، وأن يُقدَّم للموت عن الجميع، ولأجل هذه الغاية أعدَّه المخلص لنفسه، لكن كان من المستحيل أن يبقى هذا الجسد ميتاً بعد أن جُعِلَ هيكلاً للحياة" (٣١: ٤، وراجع فصل ٩، وفصل ٢٠). ولهذا، إذ قد مات كجسدٍ مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه" (٣١: ٤).

وقد يبدو للقارئ أن المعلم الكنسي يتكلم عن المسيح وحده، ولكن لاحظ قوة هذه العبارات:

"إن كان الموت قد أُبطِلَ ... وأن الجميع قد وطأوه بأقدامهم بقوة المسيح ... وإن كان المسيح قد أمات الموت .. كيف كان ممكناً إظهار أن الموت قد أبيد ما لم يكن جسد الرب قد قام؟" (٣٠: ٢). واضحٌ أن التعليم هنا عن البشر: "الموت قد أُبطل .. قيامة الجسد إلى عدم الموت، تلك أكملها المسيح مخلص الكل، وهو الحياة الحقيقية لهم (للبشر) جميعاً" (٣٠: ١). ويقول أيضاً في ٢٩: ٦ "المسيح قد أبطل الموت وأوقف فساد الموت وابادة". ولذلك "الموت قد هزمه المخلص، وشَهَّرَ به على الصليب وربط يديه ورجليه، فإن جميع الذين هم في المسيح، إذ يعبرون عليه، فإنهم يدوسونه" (٢٧: ٤). "لأن جميع الذين يؤمنون بالمسيح يدوسونه كأنه لا شيء" (٢٧: ٢). "فقد أُبيد الموت في الجسد بقوة المخلص" (٢٦: ٦). بل لاحظ أن الرب أقام جسده في اليوم الثالث "حاملاً عدم الفساد وعدم التألم اللذين حصلا لجسده كعلامة للظفر والانتصار على الموت" (٢٦: ١).

بل هناك ما هو أكثر من ذلك، هل قرأ نيافة المطران هذه الكلمات: "نحن الذين حَمَلَنَا في جسده الخاص (به) لأنه كما قدَّم جسده للموت عن الجميع، هكذا بنفس هذا الجسد أيضاً، أَعَدَّ الطريق للصعود إلى السموات" (٢٥: ٦). وعندما قام الرب "منح عدم الفساد لأجساد (المؤمنين)" (٢٢: ٤).

النقطة الفاصلة بين أثناسيوس ومذهب كالفن، يذكرها أثناسيوس بدقة، فيقول: "المخلص لم يأتِ لكي يتمم موته هو، بل موت البشر" (٢٢: ٢). فلقد جاء التحرير

من الموت بموت المخلص: "مات المخلص عن الجميع، فإننا نحن الذين نؤمن بالمسيح لن نموت (حسب حكم الموت السابق) **الذي هو من تهديد الشريعة؛ لأن هذا الحكم قد أُبطل**، وبما أن الفساد قد أُبطل وأُبيد بنعمة القيامة، فإننا منذ ذلك الوقت (قيامة الرب) وحسب طبيعة أجسادنا المائتة ننحل .. حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل" (٢١: ١).

هكذا نفهم كيف تم "موت الجميع في جسد الرب" (٢٠: ٥).

إذن، "عن الكل"، هي رسالةٌ هامة، وهي حسب أثناسيوس: "اتحاد الكلمة بالجسد" (٢٠: ٦)، وهي "موت الرب كسائر البشر نظرائه" (٢٠: ٤).

القرينة السادسة والأخيرة:

لقد جاء الرب لكي يحوِّل كياننا الإنساني، "ويجعل الإنسان المائت غير مائت" (٢٠: ١). وعندما يقول أثناسيوس إن الرب نقل كياننا من آدم إلى أُقنومه الإلهي؛ لأنه "تأنس لكي يؤلِّهنا في كيانه، ووُلِدَ من امرأةٍ لكي ينقل إلى كيانه جنسنا العاصي لكي نصبح فيما بعد جنساً مقدَّساً وشركاء الطبيعة الإلهية، كما كتب بطرس المبارك" (الرسالة إلى ادلفوس ٤، وراجع أيضاً ضد الأريوسيين ٣: ٣٣)، يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن مشكلة الأريوسية الجديدة هي ذات مشكلة الأريوسية القديمة، وهي أن "الخلاص هو علاقة خارجية أخلاقية لا دخل لله فيها، وقد جاءت الأريوسية الجديدة لكي تسير على نفس المنوال وتتنكر خلف تعليم الفداء والكفارة بأن الرب يسوع دفع الفدية للآب، وأن هذا هو الخلاص كله، بدليل الهجوم الوحشي الكذاب على الشركة في حياة الثالوث أو الطبيعة الإلهية. ولذلك كان طبيعياً ما ورد على لسان المطران العلَّامة واصفاً في عبارةٍ شاذةٍ، طلبة المسيح على الصليب: "اغفر لهم ..."، بأن الابن يستعطف الآب ويقول له "سامحهم علشان خاطري"، تماماً كما تفعل الأم المكسورة الجناح أمام ثورة غضب الزوج الأسد، وهي صورة اجتماعية سافلة منحطة، أُسقِطَت على الثالوث الكامل المحبة، في حين أننا نرى التسليم الكنسي الصحيح في (الفصل ١٧ من تجسد الكلمة)، حيث يقول أثناسيوس: "بينما كان يتصرف كإنسان كان ككلمة الله يحي كل الأشياء، وكابن كان كائناً مع أبيه، ولذلك عندما ولدته العذراء .. لم يتدنس بحلوله في الجسد، بل

بالعكس، فهو قد قدَّس الجسد أيضاً .. كل الأشياء تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها (في الوجود)" (فصل ١٧: ٥ – ٤٣: ٦). فالكلمة "يمنح الحياة للكون" (١٧: ٢)، ولذلك، كان من السُّخفِ أن تسأل الشيع الإنجيلية سؤالها المشهور عن كيف يعطي جسده وهو جالس مع تلاميذه في العلية؟ أليس "لأنه حاضرٌ في كل الأشياء .. وواهباً الحياة لكل شيء .." (١٧: ١)؟ فكيف للمطران أن يتهور ويعظ الشباب بأسقفية الشباب ويقول عبارة "سامحهم علشان خاطري"؟ ألا يعلم أنه بذلك يكون قد دمَّر الشركة حتى في الصلب والقيامة، في الوقت الذي فيه تكون هذه الشركة واضحة في عبارتين وضعتا معاً عند أثناسيوس من العبرانيين (٢: ١٤–١٥) ومن شرح التسليم الكنسي:

"الكلمة ذاته اتخذ لنفسه جسداً ليقدمه ذبيحةً عن الأجساد المماثلة (لجسده) قائلاً: "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت .. لأنه بذبيحة جسده الخاص أو الذاتي وضع نهايةً لشريعة الموت التي كانت قائمة ضدنا، وصنع لنا **بدايةً جديدةً للحياة برجاء القيامة الذي أعطاه لنا**، لأنه أن كان بإنسان واحد قد ساد الموت على البشر، ولهذا السبب تأنس كلمة الله، فقد حدثت إبادة للموت، وتمت قيامة الحياة، كما يقول لابس المسيح بولس: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسانٍ أيضاً قيامة الأموات لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢١–٢٢)، وبالتالي نحن لا نموت الآن كمدانين، بل كأُناسٍ يقومون من الموت ننتظر القيامة ..." (١٠: ٤–٥).

الخلاصة

١– الخلاص وإبادة الفساد تم في الرب نفسه، أي في كيانه المتجسد الذي لبس الجسد البشري المخلوق، لكي بعد أن يجدده كخالق، فإنه يؤلِّهه في كيانه (ضد الأريوسيين ٢: ٧).

٢– لقد تم الخلاص في المخلص نفسه، أي في كيانه هو، ولم يكن عملاً خارجياً، ولذلك عندما يكتب أثناسيوس أن جسد الكلمة "كان هو أول (جسد) تم

خلاصه وتحريره (من الموت)؛ لأن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته، وهكذا، إذ صرنا متَّحدين بجسده نخلص كما خلص جسده، أو على مثال جسده" (ضد الأريوسيين ٢: ٦١).

وفداء جسد المخلص من الموت واضح عند أثناسيوس، فهو يقارن بين موت آدم الأول وعودة البشر إلى التراب (٢: ٦٥)، والنتيجة هي أن "كلمة الله محب البشر لبس الجسد المخلوق بحسب مشيئة الآب لكي يُحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه" (٢: ٦٥). فهو الذي تم فيه "تجديد الخليقة والبداية الجديدة" (٢: ٦٥)، فصار لذلك "رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداية، البكر من بين الأموات ..." (كولوسي ١: ١٨).

تُرى، هل سقط قناع الأريوسية الجديدة من على وجه الذين ينكرون أُلوهية الرب، عندما يحوِّلونه إلى ثمنٍ يُدفَعُ للآب، كما لو كان الآب وحده هو الخالق؟

نحن نطلب من الرب بكل صدق ومحبة، عودة هؤلاء إلى الأرثوذكسية؛ لأنهم – بجهلٍ– تركوا الطريق المستقيم (الأرثوذكسي).

د. جورج حبيب بباوي